مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 14 / العـدد: 01(2026)، ص: 476-486

# الخطاب السردي في الرواية الجديدة من خلال رواية نهاية الأمس لعبد الحميد بن هدوقة

# Narrative discourse in the new novel through the novel The End of Yesterday by Abdel Hamid Ben Hadouga

فاروق غانم [1]

جامعة الجزائر2

ghanemfarouk16@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/10/01 تاريخ القبول: 2025/12/07 تاريخ النشر: 2026/01/23

**ملخص:**

تعتبر الرواية من أهم الأجناس الأدبية خصوصا في وقتنا الراهن، فقد تطورت بشكل كبير مع التحولات التي عرفتها المجتمعات، وهذا يبدو ظاهرا منذ عصر النهضة مرورا لما احتلته الرواية من مكانة مهمة لدى المجتمعات البرجوازية الغربية، ومع العصر أصبح للرواية حيز كبير في الثقافة الأدبية، وأصبح النص الروائي يحتل مكانة عالية، وهذا ما دفع بالروائيين لإيجاد تقنيات مختلفة للسرد تتماشى مع العصر.

ولعل من ابرز الصفات تفكيك الرواية وراستها من حيث تفاعل شخصياتها، والزمن الذي يغلب عليها، وكذا الحيز المكاني الذي وجدت فيه.

**كلمات مفتاحية:** السرد، الجنس الأدبي، الرواية، الشخصيات، الزمان والمكان.

**Abstract:**

The novel is considered one of the most important literary genres, especially in our current era. It has evolved significantly with the transformations that societies have experienced. This has been evident since the Renaissance, with the novel occupying a significant position in Western bourgeois societies. With the times, the novel has gained a significant place in literary culture, and the narrative text has come to occupy a prominent position. This has prompted novelists to develop different narrative techniques that are in keeping with the times.

Perhaps one of the most prominent features is the deconstruction and study of the novel in terms of the interactions of its characters, the time period that predominates in it, and the spatial context in which it exists.

**Keywords:** Narrative, genre, novel, characters, time and place.

***المؤلف المرسل: فاروق غانم**

**1. مقدمة**

يمكننا أن ننطلق في تحديدنا لبعض مرتكزات الرواية الجديدة ومميزاتها والعوامل التي سارعت في بروزها مع الدكتور عبد المالك مرتاض، فقد رأى أن الرواية الجديدة هي حالة ثورة على ما كان سائدا من القواعد التقليدية بما تحمله من جماليات وأصول متعارف عليها قديما، ولهذا جاءت دراستنا هذه للبحث في المستجد في الرواية، خصوصا مع الكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة، في روايته نهاية الأمس، محاولين تلمس بعض الجوانب التحليلية في سرده.

وبالعودة إلى ما ذهب إليه عبد المالك مرتاض فما رواية عبد الحميد بن هدوقة وغيره من الروائيين الجدد إلا نتاج لبعض العوامل يمكن أن نوردها كما قدمها عبد المالك مرتاض في الآتي:

❖ تأثير الحرب العالمية وما تمخض عنها، وظهور مفاهيم اجتماعية وتحررية جديدة دفعت بالكتاب لانتهاج مناهج جديدة.

❖ تأثير حب التحرير الجزائرية على الواقع الروائي خصوصا في فرنسا، أذ نحى الكاتب منحنيات جديدة في كتاباتهم.

❖ الاستكشافات التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية خصوصا في مجال الأسلحة والأسلحة النووية على الخصوص، جعلت الكتاب يقدمون على فلسفة ثقافية جديدة تدعو إلى نبذ القبح والجرائم.

❖ الثورة التكنولوجية وما صاحبها من تطورات وانحصار جغرافية العالم من اتصالات، وكذلك الصعود الذي شهدة العالم إلى القمر (مرتاض ، 1998، الصفحات 85-64)

وعلى هذا الأساس ستكون دراستنا للرواية الجديدة التي ظهرت وفقا للعوامل السابقة تحليلا لشخصيات وزمان ومكان الرواية الذي طرحه الكاتب الجزائري عبد الحميد بن هدوقة في روايته "نهاية الأمس"

**2. بنية الشخصيات:**

لم يكن اختيار عبد الحميد بن هدوقة لشخصياته عبثا، ففي حين نجد أن الكثيرين ينطلقون من مجموعة من الشخصيات الرئيسية، اختار الروائي أن تكون شخصيته الرئيسية واحدة فيها يصور الصراع، ويبرز تغيراتها مع الزمن، فشخصية البشير هي الرئيسية في الرواية، هذا البشير الذي يصفه عبد الحميد بن هدوقة بأنه رجل كبير في السن، وهذا راجع لصفاته الخارجية التي تميز وجهه بالاصفرار والتعب البادي على جسمه، رغم أنه في سن الأربعين فقط، وهذه الصفاة يبدو الروائي مبرزا إياها رغم أنه يرى أنه ليست من صفاته الألى في بداية حياته، وإنما هي تغيرات حدثت له مع الزمن فهو يطلقها كالتالي: "تغير وجهه كثيرا في الماضي لم يكن بهذه الكآبة وهذا الاصفرار" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 273).

فالبشير الذي تميزه هذه الصفاة الخارجية هو رجل مثقف من أسرة التعليم، وتاريخه حافل بالمواقف أبرزها العمل المسلح ضد المستعمر الفرنسي.

ورغم هذه الصفاة الخارجية كذلك فالبشير يتميز بصفاة داخلية محببة كثيرا، إذ أنه قضى حياته محبا للخير، مدافعا عن وطنه، إضافة إلى أنه معروف عليه شدة صبره وحلمه، واتساع أفقه، ولم يتوانى لحظة في النداء الوطني الذي دعت إليه جبهة التحرير في رفعها للسلاح ضد المستعمر الفرنسي، وظهر ذلك أيضا بعد تحرير الجزائر إذ أنه بقي وفيا لمبادئه الوطنية ناشرا لرسالة التعليم.

إلا أنه في أي عمل قصصي لا يمكن أن يكون للشخصية الرئيسية حضور إلا في تفاعلها مع الشخصيات الثانوية، كما هو الحال فيما تزخر به رواية عبد الحميد بن هدوقة ومن بين أهم الشخصيات الثانوية ودورها نجد الآتي:

**رقية:**

من بين الشخصيات البالغة الثانوية البالغة الأثر في الرواية مجد شخصية "رقية" هذه الشخصية الريفية التي وظف اسمها للدلالة على الرقي، والتي نشأت فقيرة وكان حظها برجل طيب مثقف هو "البشير" إلا أن الأقدار فرقت

بينهما لاندلاع ثورة التحرير واختيار البشير حمل السلاح على أن يبقى في أسرته، وقد وافقته في ذلك دون تردد، وهو ما يميز هذه الشخصية أنها موافقة لزوجها في العمل على نفس المبادئ، أو المبدأ الأساسي وهو محاربة المحتل.

**ناجية:**

أما الشخصية الثانية التي تمثل النقيض من شخصية رقية، فهي شخصية "ناجية" التي تعتبر برجوازية جريئة من عائلة ارستقراطية، أحبت البشير بعد حرب التحرير، وهي تونسية، فقد رأت فيه الرجل المثقف، واعتبرت زوجته الثانية، ارتبط بها البشير بعد الثورة لأنه لم يجد زوجته الأولى، ومن خلال المرأتين رأينا كيف كانت شخصية البشير في صراع مجسد بصورة امرأتين مختلفتين، الأولى من عائلة فقيرة رزينة هادئة، والثانية تعيش حياة صاخبة، وهو ما أثر على شخصية البطل وجعلها تتأرجح في صراع دائم.

**الشيخ حمودة:**

قدمت لنا الرواية شخصية ثانوية مهمة لها بالغ الأثر في توجيه سلوك وحياة البشير، متمثلة في والده "الشيخ حمودة" هذا الأخير وإن كان دوره غير ظاهر كثيرا في الرواية، إلا أنه يعتبر المنشأ الأول للبشير، فالبشير الذي تبرز فيه سمات القرية أخذها من والده.

**بوغرارة:**

لعل من ابرز الشخصيات التي أثرت في البشير نجد "المجاهد بوغرارة" وله دور لا يقل عن دور البشير في الرواية، إلا أن السرد اروائي قدم البشير عن المجاهد بوغرارة لأ الأول هو من تدور في قريته وأحداثه الرواية، أما الثاني وإن كان من نفس جيل البشير ونفس الحيز المكاني والزماني، إلا أن الأحداث السردية كانت تعالج الصراع إنطلاقا من حياة البشير، وقد كان للمجاهد بوغرارة "الأثر الكبير في سير الأحداث في الرواية، وجعلها تتم بطريقة أدت في النهاية إلى انتصار البشير في الصراع" (مصايف ، 1979).

**العجوز ربيحة:**

تجسد العجوز ربيحة النقيض من البشير ففي حين انطلق هو من القوة والفتوة، إلى الاستكانة، جسدت هي الضعف والضياع والاستسلام في بداية حياتها، إلا أنها ما أصبحت تتميز بالقوة والنشاط مع آخر الرواية، وكان الروائي أراد أن يعطينا نقيض الأحداث من خلال شخصية ربيحة، فهي لما التقت بالبشير كانت قد وصلت إلى درجة من الحكمة، رغم هجرتها لوطنها، إلا أنها بلقائها بالبشير والعمل معها في نفس المدرسة، جعلها ترى في البشير وكأنه الوطن الذي تحمله بين جنباتها.

**ابن الصخري:**

إن دلالة الاسم وإن كانت تخفي وراءها القوة أي الصخر، إلا أن الشخصية هاته التي وظفها الكاتب تميزت بالمرونة والنفاق، وحتى البؤس، فهي الشخصية التي كان لها دور آخر في الاحداث، بفضل انتهازية ابن الصخري، واستغلاله للفرص، فهو يستغل ضعف الناس وفقرهم وعوزهم لصالحه، كما أن نفاقه جعل الكثيرين يثقون به وعلى رأسهم إمام القرية وابن عمه الكاتب العام في البلدية، فالصراع الذي يجسده ابن الصخري هو تجسيده للإقطاع الذي يقف في وجه تقدم وتحضر أهل القرية، فالمجتمع الذي خرج من الثورة وجد ابن الصخري في وجهه ويستغله لصالحه في كل شيء.

إن تفاعل الشخصيات في الرواية لابد له من محددين رئيسين آخرين لاكتمال عملية السرد هما الزمان والمكان، وهو ما سنتطرق إليه فيما سيأتي:

**3. بنية الزمن:**

لا يكتمل العمل السردي دون النظر في الزمن، لذلك شكل الزمن وما زال حيزا كبيرا في النقد الأدبي لأي جنس أدبي، خصوصا الرواية، ولهذا يطلق على الأدب أنه فن زمني، والزمن يكون واحدا أحيانا، ويكون متعددة في أحيان كثيرة، ويكون خارجيا أثناء الكتابة أو وقت القراءة، ويطلق عليه الأزمنة الداخلية التي تكون مع الأحداث في الرواية أي: " الفترة التي تجري فيها أحداث الرواية، مدة الرواية، ترتيب الأحداث، تزامن الأحداث، تتابع الفصول" (قاسم أحمد ، 1984، صفحة 26).

وعلى هذا الأساس فالزمن برغم أنه حقيقة مجردة متفاعلة، غير أنه لا يمكن النظر إليها أو دراستها بمعزل عن أمور أخرى، إذ أن الزمن يظهر حين يتفاعل مع العناصر الأخرى وفقا للسياقات السردية.

والزمن في "نهاية الأمس" شأنه شأن أغلب الروايات الواقعية الجديدة، استخدمه الروائي كزمن تاريخي، هذا الزمن التاريخي الذي غلب في رواية عبد الحميد بن هدوقة عنده أفكاره في فرات تاريخية مهمة، وهي ما أثرت على مشاعره، وهذا في خلال تكلمه عن أحداث حدثت في فترات معينة.

ولهذا نجد البطل في الرواية "البشير" يتجاذبه كل محددات الزمن الثلاثة "الماضي والحاضر والمستقبل" يتكرر الماضي كثيرا لأن البشير يعيش دائما في ذكريات مهمة، من ما قبل الثورة مع زوجته رقية، إلى حمله للسلاح اثناء الثورة وما بعدها، أما الحاضر فهو ما يعيشه في وسط التي يحاول تعلينها والنهوض بها وما تواجهه من عراقيل، أما المستقبل الذي يرى فيه بنظرة تفائلية مشرقة للريف وما يخبئه في المستقبل من ازدهار.

وقد تكرر الماضي كثيرا في استعمال الروائي لتقنية الاسترجاع، إي الرجوع إلى الوراء، حيث يعيد ذكريات البشير إلى أيام الثورة كما حدث حين جاءته أوامر بنصب كمين لقافلة عسكرية من جيش الاحتلال تمر مع الطريق الذي تراقبه فرقته: حلت الساعة الموعودة وأخذت البنادق و الرشاشات تلفض نارها على الأعداء (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 37).

إضافة إلى ذكرياته الثورية ينقلنا الكاتب في توظيفه للماضي إلى حياته مع زوجته ويصور لنا لحظة فراقها حين اختار حمل السلاح وكيف ودعها قائلا: "لن تموتي أنت، ولن أموت أنا حتى يعود إلى أرضنا ذلك الربيع" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 36).

كما أنه في تقنيات الاسترجاع هذه "فلاش باك" يتطرق إلى زوجته التونسية المختلفة عنه في كل شيء، وكيف انتهت حياتهما مع بالفراق فهو يعيد إلى ذاكرته بقوله: "وسارت مخيلته بغتة صورة زوجته السابقة التونسية ناجية...بلحمها ودمها، بحاجبيها العرضين الجميلين، وعينيها السود وتين... كم هي جميلة وكم هي رهيفة ، لو عشنا سويا وجاءت معي إلى هذه القرية لاحترقت، كان خلافنا كزواجنا مغامرة، أي هي الآن وأين أنا" (بن هدوقة ، 1978 ، الصفحات 140-141).

ورغن أن الماضي مستعمل بكثرة في رواية "نهاية الأمس" إلا الروائي لم يغفل تقنيتين زمنيتين مهمتين جدا خما الديمومة والتواتر:

**أ- التواتر:**

يعتبر التواتر تقنية تتكون من مجموع العلاقات بين التكرار في النص والرواية (شمس ، 1985، صفحة 86) ووقد جاء التواتر في الرواية على الشكل التالي: :

- ما حدث مرة واحدة يروى مرة واحدة: "واخذ البندقية ورجع إلى القرية و الليل يلفظ أخر أنفاسه"
- ما حدث مرات متعددة يروى مرات متعددة: " تناول كأس الشاي" "شعل سيجارته وفكر" وأشعل السيجارة" أشعل سيجارته وراح يمتص".
- ما حدث مرة واحدة يروى عدة مرات.
- ما حدث عدة مرات يروى عدة مرات: "من العادة يأتي كل صباح إلى المقهى".

**ب- الديمومة:**

إن الديمومة تطلق في الأصل على العلاقة التي تربط طول النص الذي يقاس بالكلمات والجمل والأسطر والصفحات وحتى المجلدات مع الزمن المتعارف عليه الذي يقاس بالثواني والدقائق والأيام وحتى السنوات، فضبط العلاقة التي تربطهما معا هو ما يطلق عليه الديمومة، هذه الديمومة يمكن ضبطها حسب السياقات التي جاءت في النص ويمكن أن نميز في الرواية أربعة أنماط من الديمومة في الآتي:

**التوقف:**

يحدث التوقف في الرواية كثيرا، إذ أن التوقف هو الانتقال المباشر من سرد الاحداث في زمن معين، إلى وصف أشياء أخرى، هذا الانتقال يطلق عليه التوقف، لأن الكاتب خرج من الحدث الزمني المتحرك، إلى الوصف المتوقف "خرجن متتابعات في فساتينهن الملونة الزاهية، أذرعهن وأعناقهن يحملن كل ما يملكنه من حلي" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 256).

**المشهد:**

المشهد هو التطابق الذي يحصل بين الزمن والنص، وهذه الظاهرة تتكرر في المقاطع الحوارية بكثرة، مثل ما ورد في النص: "تقلب على جنبه الأيمن ثم الأيسر ثم اضطجع على ظهره فلم يجد في فراشها الجديد منقلبا يلائمه، فاسند ظهره للحائط، ومدر رجليه في الفراش وراح يتفحص قبالته خيطا أبيضا لم يره قبل هناك، كان الخيط شعاعا من القمر تسلل من النافذة" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 47).

**المجمل:**

وهو عملية سردية يقوم بها المؤلف بتقديم ملخص لأيام أو شهور، أو أي فترة زمنية بإيجاز "كان ذلك في سنين الحرب العالمية الثانية" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 18)

**الإظهار:**

وهو تجاوز للعديد من الأحداث، أي تجاوز احداث واختصار للزمن، أو انتقال لزمن قد يأتي بعدها مباشرة مثل: " وتطول الأيام لكأنها قرون" "ومرت الأيام" "بعد أربع سنوات، وقد وضعت الحرب أوزارها" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 47).

**4. بنية المكان:**

يشكل المكان حيزا كبيرا في دراسة العمل السردي شأنه شأن الشخصيات والمكان، فهو الفضاء الذي تدور فيه الأحداث، ولا يمكن للشخصية أن تكون موجودة دونه، وكذلك لا يكون للحدث وجود في اللامكان (قاسم ، 1988)، وعليه إذا اعتبرنا أن الزمان خو الحركة التي نسير فيها الأحداث، فإن المكان هو المحدد الذي تدور في ساحتها تلك الاحداث (الأطرش ، د ت ، صفحة 161).

ولعل الناظر في رواية ابن هدوقة يلاحظ أن ثنائية الريف والمدينة هي الأكثر حضورا، ومع أن سيزا قاسم يرى في الحيز المكاني أنه مساحة تختلف عن المستوى الفردي و الاجتماعي و القومي، غير أن مساحته معروفة على جميع

هذه المستويات، وبهذا الوصف فالحيز أشبه ما يكون بدوائر تختلف أقطارها بحسب من يحتلها ويعيش، وعلى هذا الأساس سنتطرق إلى أهم الأماكن ودورها في الخطاب السردي في رواية "نهاية الأمس"

**البيت:**

البيت هو المستقر وهو الملجأ للفرد ورغم أن بن هدوقة تطرق إليه كثيرا إلا أننا سنأخذ وصفه لأحد بيوت القرية قائلا: "كان الفراش حصيرا من حلفاء وحنبلا قديما من صوف ومسندا، في زاوية البيت بردعة بغل ومحراث عتيق من خشب" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 25)، وهو الوصف الذي يعبر عن الفقر والبداوة، ولم يكتفي بتوظيف هذا البيت دون دلالة، وإنما ليعطي للقارئ صورة مقارنة تجسد الصراع بين طبقات المجتمع وهذا حين يقدم وصفا لبيت الأغنياء قائلا: "بناية ضخمة ناصعة البياض بقرميد أحمر قان" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 147).

ومن هنا تتجسد الهوة بين الطبقات، وكيف أن المجتمع مقسم إلى طبقتين طبقة فقيرة كادحة، وطبقة غنية ارستقراطية، وهو جوهر ما عاشه البشير في القرية مدافعا على الفقراء، حاملا هذا الصراع الذي تمنى أن يزول في أحد الأيام، ويظهر ذلك اكثر حين يدخل بيت ابن الصخري ليقدم له وصفا كالآتي: "كانت الحجرة التي دخلوها نظيفة واسعة، مفروشة بزرابي وثيرة، وضعت فوقها مطارح من صوف عالية، مغطاة بأزر جميلة النسيج" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 149).

**الدكاكين:**

بما أن الدكان في القرية يلجأ الناس إليه لاقتناء مستلزماتهم، إلا أنه في القرية له عدة وظائف منها إيصال الرسائل، وتبليغ الأخبار، كما أنه مجمع لقاء بين افراد القرية، إلا أنه في هذه القرية يمكننا أن نطلق عليه شبه دكان وهذا لأن الروائي وصفه بقوله: "الدكاكين الموجودة عندنا لا توجد فيها الأواني ولا مواقد الغاز...، أما المواد الغذائية فيباع الدقيق أحيانا وبعض البقول" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 59)، ورغم ذلك فالدكان حاضر ويشغل حيزا مكانيا في الرواية.

**المدرسة:**

تلعب المدرسة حيزا كبيرا خصوصا زمن كتابة الرواية واحداثها، والمدرسة هنا له الدور الأكبر خصوصا إذا علمنا أن البشير أصل مهنته التعليم، وفي القرية كما هو معروف تعتبر المدرسة ركيزة أساسية، والمعلم الذي يدرس التلاميذ يحظى بمكانة مرموقة، وقد وصف ابن هدوقة اقسامها الثلاثة وقدرة استيعابهم، وكذلك ما تحتويه على مغسلة ومراحيض، فناء، كما أنها تحتوي على سكن، وقاعة لمعيشة، وحجرة مجهزة بدوش ومغسلة، هذا الوصف ينم على أن المدرسة إضافة إلى الرسالة التي تقدمها، تكون سكنا للمعلم.

ورغم أنها تحتوي على كل شيء، إلا أن المدرسة ينقصها أهم شيء وهو الماء "فأدرك حينئذ أن المدرسة كلها خالية من الماء" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 20).

ومع ذلك تميزت شخصية البشير المثابرة بأن هذا الأمر لا يعيقها عن آداء رسالتها بل اعتبرها رسالة تدفعه "ليحرض الناس ليثوروا على أوضاعهم" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 15).

**الجامع:**

أول مرة يظهر الجامع كحيز مكاني في الرواية، وهو بتحديد مكانه قريبا من المقهى، وذلك لأن البشير سمع صوت تلاوة القرآن وهو داخل المقهى، وعليه يكون الجامع والمقهى حيزان متناقضان متقابلان، "بينما المسجد لا يبعد كثيرا من هناك أي من المقهى" (بن هدوقة ، 1978 ، صفحة 23).

وإلى هنا فيمكننا اعتبار رواية عبد الحميد بن هدوقة غنية بالأحداث والشخوص والأماكن، وقد جاءت مبشرة بالرواية الواقعية الجديدة التي تدعوا إلى الثورة عن الأوضاع السائدة، وإعطاء مكانة مهمة للريف بتعليم افراده وتنميته، إلى غيرها من الدعوات المتضمنة في الرواية.

**المصادر والمراجع:**


الأطرش , ر) .د ت .( *بناء الرواية العربية الجزائرية، دراسة موضوعية فنية* .الجزائر : رسالة ماجستير.

بن هدوقة , ع .( 1978 ) .*نهاية الأمس* . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر.

شمس , ا. ج .(1985) .*مدخل الى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا* .تونس: الدار التونسية للنشر.

قاسم , س .(1988) .*يوري لوتمان، مشكلة المكان* .دار مجلة العيون.

قاسم أحمد .(1984) . *أبدية بناء الرواية، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ* .مصر : مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

مرتاض , ع .(1998) .*في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد* .الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

مصايف , م .(1979) .*الرواية الجزائرية بين الواقعية و الالتزام* .الشركة الوطنية للنشر والتوزيع: الجزائر.